

المبقاء على الحياد خُذْ لِحَقِّ وَرَضِي بِالْمَبْطَلِ (1)) للأديب المفاضل الشيخ مصطفى بن حلوش العضو بالجمعية

المقوم أربعة : قوم عرفوا الحق فأظهروه وهم المؤمنون المتقون الذين يرجون رحمة ربهم ويخافون عذابه . وقوم عرفوا الحق فأنكروه وهم المجاهدون العاضلون والمأعداء الذين لا يرضى عنهم الله ولا يفرحون . وقوم ما عرفوا الحق فأنكروه ولما عرفوا المباطل فأبوا دونه فهؤلاء قوم جاهلون وناس غافلون تقودهم الأيدي وتسخرهم العقول مرة لخير وأخرى لشر وتارة لمعروف وطورا لمُنكر وهم قوة الحق إذا ظهرت رجاله ، وحُمة المباطل إذا حضرت أبطاله . وقوم عرفوا الحق وعرفوا المباطل وعرفوا مصدر كل واحد منهما وأدركوا عاقبة الحق وعاقبة المباطل فكان مما أدركوه أن عاقبة الأول الثواب وعاقبة الآخر العقاب ؛ وإن مما كتب الله للمُحِقِّين الفوز والانتصار ومما كتبه للمُبطِلين الخيبة والاندحار .

هذا هو علمهم بالوجهين — وجه الحق ووجه المباطل — ومُنْتَهَى الإدراك منهم لعقبى الطائفتين — طائفة المُحِقِّين وطائفة المُبطِلين — . فهل كانوا للحق فأي دونه ، وعلى المباطل فخذلوه ؟ ... لا ... إذن كانوا للمباطل على الحق ... لا ... وكيف كانوا ؟ كانوا على حال لا يرضاها عقل ولما يُقرها شرع وهي ما أسموه « البقاء على الحياد » . فما معنى البقاء على الحياد ؟ معناه أن لا تمد يدك للحق فتضعه ، ولما تسلطها على المباطل فتضعه وإن شئت قلت هو خُذْ لِحَقِّ وَرَضِي بِالْمَبْطَلِ ! أو قل هو السُّكُوت المُطلق والمكفُّ الشامل عن قول وفعل الخير والشر .

ومن أسباب « البقاء على الحياد » ضعف نفس صاحبه وقلة ثقته بالله ومنها تذبذبُه ونفاقه وعدم ثباته على حال :

وإن الذي لا يستقر قراره *** على حالة لا يستقر بآت

ومن أسبابه مُهاوأة النَّاسِ ومُجاراتهم (في عوائدهم وديانتهم وأفراحهم وأتراحهم واحتفالاتهم ومآتمهم) خوفا من ذهاب دُنْيَا فانية أو جاه كاذب أو طمعا في إقبالهما من جهة ذهابهما التي هي غضب (سيدي الشيخ) وقراء الشيخ وزيد وعمرو وخالد وبكر . فلا يُعاملون من لا يُهاويهم ولا يسكت عن منكرهم ولا يدعونه لولائمهم ومآتمهم ولما يصدرون به مجلسا ولما يعرفون له قيمة ولما خاطرا وهذا شيء يهيم بعض الأعيان أكثر وبعض العلماء أكثر ولأجله فُضِّ لُوا الحِيَاد . وما دخل هذا الخوف على هذا البعض من العلماء والأعيان المُحايدين إلا من طريق الوهم والخيال وقلة الثقة بالله ثم بأنفسهم ! ولما فقد عرفنا كثيرا من النَّاسِ قاموا بالحق دفاعا عنه وتأييدا له ولم يبالوا بغضب زيد ولما برضى عمرو وما زادهم ذلك إلا إكبارا في النَّفُوسِ وإعظاما في القلوب ، وتصدعت بقوة قلوبهم الجاهدين ، وذلت لعزة نفوسهم نفوس المُبطِلين ، وما أعزت مُبطلا كثرته ولما أغنت عن جاحد آلهته ...

ورأينا من المُحايدين أكثر من أن نُحصي كيف أصبحوا بعد انتصار الحق — ولما بدَّ من انتصاره — لا يُقام لهم وزن ولما يُعرف لهم شأن ولما يعتبرون إلا كصخور على ضفتي واد تُشِينُه ولما تُزِينُه فلم سالت الأباطح والمشعب وغمرت الوادي المياها جرفتها فيما جرفت فذهبت إلى حيث لا يشهدها عيان ولما يذكرها لسان ولما يتأسف عليها إنسان ... ونبت في مكانها من المصفتين العشب والأشجار ذات الأزهار والشمار فتتمت ع النَّاسِ بريحتها بالليل وتضيء ظلها بالنهار .

□ □ □ □ □ ذلك مثل المقوم الموحايدين الذين لا ينفعون ولا ينتفعون ومثل المقوم العاملين الذين يفيدون ويستفيدون ...

□ □ □ □ □ تلك هي الأسباب الطبيعية >> لبقاء على الحياد >> وتلك هي صفات الموحايدين فما هي نتائجها ولوازمه ؟

□ □ □ □ □ فأولى نتائجها تكثير سواد المبطلين عن غير شعور من صاحبه , لأن المبطلي يعتبر أن كل من لم يعارضه فهو مؤيد له وناصر ! وأول كلمة يوجه بها المحق : >> أنت وحدك ومن دون هؤلاء تعارضني وتسمي ما أقول وما أعمل باطلا ! >> ولذلك كان اشتباه العلماء الذين يقرون البدع والمنكرات بسكوتهم عنها وعن صاحبها حجة عند العامة العمياء والمبطلين الأذنياء .

□ □ □ □ □ ومن لوازم >> البقاء على الحياد >> كتمان العلم والغش لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فمن علم الحق ولم يعلّمه فقد كتمه , ومن رآه في حاجة إلى المنصير ولم ينصره فقد خذله ومن علم الباطل ولم يكشفه للناس فقد غش ولم ينصح , ومن رأى الباطل شوكة ولم يكسرهما أو يعمل على كسرهما فقد أبقى عليه وشد أزره .

□ □ □ □ □ وما شروط >> المصلح >> المشهورة إلى الدعوة للبقاء على الحياد الذي يترك الناس على (ديانتهم وعوائدهم) حقا كانت أو باطلا وليس من شرط في تلك الشروط إلى وتحت أيدي تعضد المنكر وتؤازره وتعارض المعروف وتجاربه .

□ □ □ □ □ ومن لوازمه مخالفة أمر الله ورسوله فمن أوامر الله أن تكون فينا أمة تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهذه الأمة لا تحدّ بحدّ ولما تحصر بعد وكما تصدق على الجماعة تصدق على الفرد , فلماذا تخرج نفسك منها أيها الموحايد ولما تكون ذلك الفرد ؟ ومن أوامر الله أن نستبق الخيرات بتخيير الوجاهات وأي وجهة خير كالانتصار للحق ؟ فلماذا لا تستبق غيرك فيها أيها الموحايد ؟

□ □ □ □ □ ومن أوامره تعالى أن نتعظ بواحدة : أن نقوم لله مثنى وفردى ثم نتفكر فيما أوحى الله به لرسوله وننصح لأنفسنا بالاعتراف بالحق والائابة إليه وبالانتصار لدين الله وتأبيده , فما قيمتك في الدنيا وما حظك في الآخرة أيها الموحايد إذا لم تتعظ بواحدة الله : أن تقوم له مع القائمين وتؤيد دينه مع المؤيدين ؟ وإذا كنت أيها الموحايد تؤمن بقول الله >> (يحقّ الله الحق ويبطل الباطل) >> وقوله >> (إن الباطل كان زهوقا) >> فما معنى بقائك على الحياد وعدم إعلانك الحرب على الباطل ؟ لا يكون لحالك هذه معنى إلا أن تكون تخاف أن يخلف الله وعده ويخذل جذده , وحاشا الله !

□ □ □ □ □ وإذا كنت تعلم أنه ليس من المسلمين من لا يهتم لشؤونهم وأنهم يدّ على من سواهم فيماذا تسمي حيادك ؟ أيعدم الاهتمام بشؤونهم أم بأن يدك ليست يدهم ؟ إن الحياد خصلة من أقبح الخصال ولما يلتجئ إليها إلا ضعفاء القلوب وقاتروا العزائم بل لا يلتجئ إليها إلا من لا إيمان في قلوبهم ولما حجة على ألسنتهم , فحذار أيها المسلم المصادق أن تعرف الحق ولما تنصره وتعرف الباطل ولما تذكره وحذار أن تكون من غواة >> البقاء على الحياد >> فإنّه خذلان للحق ورضي بالباطل , والله يغض لمن يشاء ويهدي إليه من ينيب .

مُستغانم، مُصطفى بن حلّوش.

جريدة المشريعة النّبويّة العدد الثالث. (11)